



برفقة الفنانة
«هيلما أف كلينت»

وقفه تأمل في النفس البشرية

المارية حامد

اللوحات من أعمال هيلما أف كلينت (ترشيحية)

مركز علوم الإيزوتيريك

يُعتبر مركز علوم الإيزوتيريك الأول من نوعه في لبنان والعالم العربي، وقد قام بتأسيسه الدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م)، يقدم المركز دروساً في علم الوعي، كما يقدم للباحثين تقنية «أعرف نفسك» في تطبيق عملي عملائي، وقد صدر عنه أكثر من مئة مؤلفة، وترجمت كتبه إلى سبع لغات أجنبية، ولقد أقيمت في كنفه آلاف المحاضرات الجاذبة منذ تأسيسه في أواخر الثمانينيات في بيروت-لبنان، وقد قام بنشر آلاف المقالات في الصحف والمجلات المحلية والعربية والأجنبية.



«هيلما» تميّزت
عن أقرانها
بتجربتها الفريدة
التي انعكست في
لوحاتها وجمعت
فيها بين الأشكال
الهندسية والرموز



* انتقلت «هيلما»
إلى عالم الكتابة
وغاصت عميقاً
في مكامن
نفسها لتعبر
عن تجربتها
الخاصة وعن جمال
الكيان الإنساني
وغموضه

أيضاً. ذلك لأنها كانت متيقّنة بأنّ الإنسان وما يحويه ليس إلا صورة مُصغّرة عن الكون... فكما قال الإمام علي بن أبي طالب في مقولته المأثورة، «أو تحسب أنك جرم صغير.. وفيك انطوى العالم الأكبر». لوحاتها تحاكي التطوّر في الكون، وكيف أنّ الإنسان ليس بمعزل عنه، فنجد على سبيل المثال، في البعض من رسوماتها، تعبيراً واضحاً عن تطوّر الخلق من الهنشا الأول، مروراً بمراحل طفولته وشبابه ووصولاً إلى كهولته. وبعد أن أكملت الفنانة مجموعتها الفنية التي أسمتها «رسومات للمعبّد» Paintings for the temple، وتقصّد هنا بكلمة المعبد «الكيان الإنساني» الفريد الذي يحوي أسراراً ورموزاً علينا فكها لتتعرف عن كُتب إلى كياننا وإلى علة وجودنا. انتقلت إلى عالم الكتابة، وغاصت عميقاً في مكامن نفسها لتعبر عن تجربتها الخاصّة، ولتعبّر أيضاً عن جمال الكيان الإنساني وغموضه... وكيان الإنسان، كما توضحه علوم الإيزوتيريك، مكون من أبعاد وعي سبعة، أدناها الجسد وأرقاها الروح. وتتقسم هذه الأبعاد في كيان الإنسان إلى قسمين، يُعدّ النفس الدنيا الممتلئة بالجسد، والهالة الأثيريّة، ويُعدّ المشاعر فالبعد العقلي في الإنسان، وأبعاد الذات العليا الممتلئة ببعد المعبّد، ويُعدّ الإرادة السامية، ويُعدّ الروح.

العصر الجديد

«تفيدنا علوم باطن الإنسان- الإيزوتيريك، أن الخليقة البشرية، أو نغز عملية الخلق، كانت وما زالت وستبقى من بين أقدس الموضوعات التي لن تكشف عن نفسها كلياً إلا في «العصر الجديد» الذي بات العالم على قاف قوسين أو أدنى من دخوله... وذلك حين يتوَعى المرء إلى ما يستقر في باطنه من حقائق دفينّة». انتهى الاستشهاد كما يوضّح كتاب «الأشعة الروحية - الإنسانية» - البشريّة» ص 11، إعداد وتنسيق الدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م)، من سلسلة علوم الإيزوتيريك-بيروت-لبنان. اللافت أنّ في هذا السياق تتحدث أعمال الفنانة هيلما، عن أهميّة الكيان الإنساني وعن غموضه، وذلك من خلال تجربتها الشخصية... وتُضيف علوم الإيزوتيريك إلى تجربتها، نظراً دقيقة فاحصة، فيها الكثير من الشموليّة في الوقت نفسه، حيث إنّها تُشرّح أبعاد الوعي في الكيان الإنساني بدقة متناهية، وتوضّح تأثيرها علينا وعلى حياتنا، وتقدّم كذلك، منهجاً تطبيقياً عملياً، اختياريّاً، وأنّ الإنسان باستطاعته أن يختار النهج الذي يريد، وأن يختار المسلك الحياتي الذي يناسبه، وأن يطبّق مبادئ المعرفة التي تختصر المنهج الكامل والمتكامل في ثلاث كلمات «محبّة- وعي- تطبيق» (ذلك بحسب علوم الإيزوتيريك).

وبما أننا نعيش الحياة ونختبرها، من خلال أبعاد وعي هذا الكيان الإنساني البديع، ومن خلاله أيضاً، يُختبّر الازدواجيّة... فإذا، من الضروري جداً أنّ نصيّد الجانب المُعتم من هذه الازدواجيّة في نفوسنا، لنُحيا في الجانب المُستنير... ومن المهم أيضاً، أنّ نوحّد هذه الازدواجيّة، وأن نُزيل الحجب عنها، لنكتشف الوجه الآخر للوحدة، ولنتحقّق الوحدة فيها، ومع الكون ومع الخالق... لنمضي إذاً معاً في طريق النور والمعرفة... وليُضيء الوعي سماء حياتنا... وبالدوعي لاغيره تلتم نفوسنا لتلتقي وتتحد مع ذاتنا... وبالدوعي نُرتقي ونُرتقي في درجات الوجود الاسمى والأعلى.

ص 116، إعداد وتنسيق الدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م)، من سلسلة علوم الإيزوتيريك، منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء، بيروت-لبنان. «أنتي الشّماع الرابع من أجل أن يعلم اتحاد هذه الازدواجية الأساس. ازدواجية الباطن والظاهر، ازدواجية الروح والجسد، كي تتحقّق الروح ذاتها في الوجود، وكان هو المثال الحي لذلك». وفي الكتاب نفسه، ص 114، يذكر أيضاً: «وصار الشّماع الرابع شعاع الازدواجية التي تبحث عن الوحدة، وحمل الشّماع الرابع التناظر والانسجام، الروح والمادة... حمل حس التناظر الذي يبحث عن الانسجام... وحس المادة التي تبحث عن جمال الروح». انتهى الاستشهاد. وقد جسّدت الفنانة في لوحاتها المُهمّة وعددها مئة وثلاث وتسعون لوحة، ما تقدّم من عبارات، إذ كانت مثلاً حياً لصفات مولود الشّماع البشري الرابع. ففي طفولتها، كانت تقضي معظم أوقاتها، في بيت العائلة الذي يقع على ضفاف بحيرة مالارين. وقد تأثرت الصغيرة هيلما بالطبيعة الغناء من حولها، وشكل كل من الهدوء والاستقرار والطبيعة، مصدراً للإلهام في فنّها. وكان لوالدها أثراً بالغاً في حبها للرياضيات وشغفها بها. وقد توسّع شغفها في ما بعد، ليشمل العلوم والموسيقى. أمّا سميتها الأساسية، فكانت «الفضول» وحب التبحّر في المعارف البعيدة عن مداركها.

وخلال العصور الوسطى وعصر النهضة، واجهت الفنّانات بشكل خاص، الكثير من الصعوبات والعقبات أثناء التدرّب، والترويج لأعمالهن، ونيل التقدير على جهودهن. وهذه الصعوبات شكّلت تحدياً كبيراً في نفس الفنانة بعد تخرّجها في أكاديمية الفنون الجميلة، حيث إنّها لم تلقِ الحفاوة والقبول اللازمين من نقابة الرسّامين. نظراً لكونها امرأة ولأنّ الفن والإبداع كانا حكراً على الرجال فقط آنذاك! فكان الاعتقاد السائد وقتها، أنّ الأنثى لا تصلح سوى لأن تكون ربة منزل. عام 1880، واجهت تحدياً من نوع آخر، إذ تركت وفاة شقيقها الصغرى هيرمينا، أثراً عميقاً في نفسها، أدّى إلى تحوّل جذري في حياتها، فاستلهمت عندها مرحلة البحث في نفسها، وفي علة الوجود، مما أدّى إلى تغيير واضح في طريقة تفكيرها، الذي انعكس على أسلوب حياتها، وأعطى منحنى جديداً لفنّها. عاصرت الفنّانة كبار علماء الفيزياء، كفيلهلم كونراد رونتجن Wilhelm Röntgen، الذي اكتشف الأشعّة السينيّة التي تُعرف بأشعّة إكس، وهانريش هيرتز Heinrich Hertz الذي أثبت تجاريه وجود الموجات الكهرومغناطيسيّة. وقد تجلّت هذه الاكتشافات واضحة في إحدى لوحات الفنّانة.

كما عاصرت رُؤاد المدرسة التجريدية كالفنّانين الروسيين، فاسيلي كاندينسكي Wassily Kandinsky، وكازيمير ماليفيتش Kazimir Malevich، والفنّان الهولندي بيت موندريان Piet Mondrian الذين أبدوا بدورهم اهتماماً بالآثار هذه الاكتشافات العلميّة. إلا أنّ هيلما تميّزت عن أقرانها من الفنّانين المعاصرين من خلال تجربتها الفريدة، التي انعكست في لوحاتها، والتي جمعت بين الأشكال الهندسيّة والرموز، التي تتحدث عن أبعاد الوعي، (كما تعرفها علوم الإيزوتيريك) وعن علاقتها بمحيطها الذبذبي.

لرسوماتها أوجه متعدّدة، سمت من خلالها جاهدة لكشف هذه الأبعاد، بالمقارنة، والبحث في علم الذرّات، وعلوم الفيزياء والرياضيّات



هيلما أف كلينت



فلنبدأ معاً رحلة الاستكشاف، حيث نرافق الفنّانة السويديّة، في رحلة البحث في مجاهل نفسها، والتي تركت بصماتها في لوحاتها الفنيّة، وفي مذكراتها الخاصّة.

الشّماع البشري الرابع

هيلما أف كلينت (21 أكتوبر 1862- 21 أكتوبر 1944). فنّانة سويديّة، من أوائل رواد الفن التجريدي. الطفلة الرابعة للكاين فيكتور كلينت، قائد القوّات البحريّة السويديّة واسم والدتها ماتيلدا كلينت. وبما أنّ هيلما كانت المولود الرابع في عائلتها، فهي إذاً تحمل صفات الشّماع البشري الرابع، وصفته هي صفة «الفنّ». وكما يشرح هنا كتاب الإيزوتيريك التاسع والأربعون «الأشعّة الروحية - الإنسانية - البشريّة» (كيف تنظم دورات حياة البشر على الأرض)

«دخلت عمق نفسي التي (تحوي كل شيء)؛ فوجدت التناقض يحيا بين شأياها. رأيت الحياة والموت، وهل من أمر أشد تناقضاً؟ رأيت الألم واللذة، الوحدة والازدواجية، السعادة والشقاء، كيف لنفسي أن تختبر السعادة لحظة، ثم تهمل من الشقاء مرّات؟ رأيت النور والظلام، كيف لهما أن يجتمعا في بقعة واحدة؟»

كما يذكر كتاب الإيزوتيريك التاسع «رحلة إلى عالم المجهول» ص 16، إعداد الدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م)، من سلسلة علوم الإيزوتيريك، بيروت-لبنان.

ما من إنسان يعيش على وجه هذه البسيطة، إلا واختبر في حياته الازدواجيّة... ازدواجيّة الفرح والحزن، السعادة والشقاء، النجاح والفشل، الصّحة والمرض، الحياة والموت، إلى آخره من ازدواجيّات... وما من إنسان في هذا الوجود إلا وفي جُمعيّته تساؤلات كثيرة تقض مضجعه. تارة يحاول أن يتعايش معها ومع الشعور بالحيرة والتردد والضيق، وما يولده من قلق دائم، في ظلّ عدم وجود الإجابات المُقنعة والمنطقيّة. وتارة يحاول أن يتناسى تلك الأسئلة المُحيرة. وتارة أخرى، يثور مُستنكراً، غاضباً على كل ما حوله، غافلاً عمّا يخلُج في داخله من صراعاتٍ وآلامٍ وتناقضاتٍ شتى...

إلى أنّ تبدأ مرحلة البحث عن مسببات هذه المُتغيّصات في حياته. وعندما لا يجد الأجوبة في العناصر المحيطة به، يتوجّه إلى الدّاخل... وتبدأ رحلة الغوص في مجاهل النفس، وإزالة الحجب عنها رويداً رويداً... للوصول إلى الغاية المنشودة. هذه الرحلة هي «رحلة مُصغّرة» على كل إنسان شاء إم أبى... وهي بداية للحياة الحقّة، عند بدء إثراق نور الوعي فيه وإنجاء الظلمة عن نفسه.

وانطلاقاً من الرغبة في فهم النّفس البشريّة ودراستها، اليكّم هذا البحث الموجز، الذي هو أشبه بوقفه تأمل في حياة الفنّانة هيلما أف كلينت Hilma Af Klint وتمنّى فيها، وما عايشته خلال مسيرة حياتها الحافلة بالإنجازات الفنّيّة، والاختبارات الشخصية التي تُعد سابقة لأوانها في ذلك العصر، من حيث العمق والنوعية.

قامت بهذه الدّراسة من منظور علوم الإيزوتيريك- علم الوعي الإنساني، في خطوة تهدف إلى الغوص في خفايا النّفس البشريّة، وللتعلّم من تجارب الآخرين. والاستفادة أيضاً من الخلاصات والاستنتاجات التي توصلوا إليها. فالنفس ما برحت تنتظر، منذ أزمان طويلة، أن نسبر أغوارها ونميط اللثام عن خفاياها. لتُكشف لنا عنّا تخبئه داخل حناياها، من معارف أصيلة. فتحن سنكتسب من دون شك، أثناء الالتزام بدراسة علوم الإيزوتيريك وتطبيقها في حياتنا، منطق «التفكير السامي» (كما تعرفه علوم الإيزوتيريك)، الذي يربط النتائج الظاهرة بالأسباب الخافية... وبهذا المنطق نكتشف الجانب الخفي الذي يقسّر غوامض النّفس البشريّة.

